

أضواء البيان

@ 176 .

ويدل لهذا القول قوله تعالى : { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } ، وقوله : { فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَآؤُلَاءِ شَهِيدًا } ، وقوله { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْ نَفْسِهِمْ } وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَآؤُلَاءِ } ، وقوله : { وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ } . . .

قال بعض السلف : وفي هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث . لأن إمامهم النبي صلى الله عليه وسلم . . .

وقال بعض أهل العلم : { بِإِمَامِهِمْ } أي بكتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع . وممن قال به : ابن زيد ، واختاره ابن جرير . . . وقال بعض أهل العلم : { وَيَوْمَ نَدْعُوهُ } كُتِبَ لَهُ أُنَاسٌ بِإِمَامِهِمْ } أي ندعو كل قوم بمن يأتمون به . فأهل الإيمان أئمتهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم . وأهل الكفر أئمتهم ساداتهم وكبرائهم من رؤساء الكفرة . كما قال تعالى : { وَجَعَلْنَا هُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّزَارِ } . وهذا الأخير أظهر الأقوال عندي . والعلم عند الله تعالى . . .

فقد رأيت أقوال العلماء في هذه الآية ، وما يشهد لها من قرآن . وقوله بعد هذا : { فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ } بِرِيَمِينِهِ { من القرائن الدالة على ترجيح ما اختاره ابن كثير من أن الإمام في هذه الآية كتاب الأعمال . . . وذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن الذين يؤتون كتابهم بأيمانهم يقرؤونه ولا يظلمون فتيلًا . . .

وقد أوضح هذا في مواضع أخر ، كقوله : { فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ } بِرِيَمِينِهِ { فَيَقُولُ هَآؤُلَآءِ أَقْرَبُ } كِتَابِيهِ { إِلَى قَوْلِهِ { وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ } بِرِيَمَالِهِ { فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ } كِتَابِيهِ { وقد قدمنا هذا مستوفى في أول هذه السورة الكريمة . . .

وقول من قال : إن المراد (بإمامهم) كمحمد بن كعب (أمهاتهم) أي يقال : يا فلان بن

فلانة قول باطل بلا شك . وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر مرفوعاً : (يرفع يوم
القيامة لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان بن فلان) . قوله تعالى : { وَمَنْ كَانَ فِي
هَآذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآسِّ خِرَّةٍ أَعْمَى وَآضَلُّ سَبِيلًا } . المراد بالعمى
في هذه الآية الكريمة : عمى القلب لا عمى العين . ويدل لهذا قوله تعالى : { فَإِنَّهُمْ